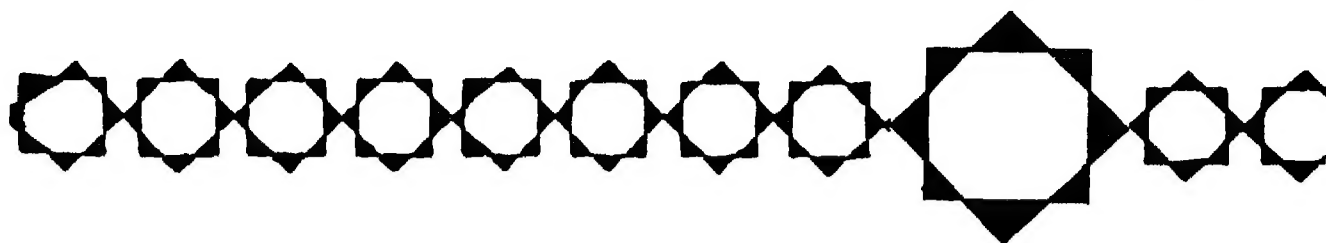


عبد العزيز السنّاوي



صديقاً في الجنة

الزبير بن الحوام

أبو عبيدة بن الجراح

دار الفكر العربي

otheca Alexandrina
121672

عبد الرحمن السيناوي

صديقان في الجنة

الزبير بن الحوام

و

أبو عبيدة بن الجراح

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

الإدارة : ١١ ش جواد حسني - القاهرة

ص ب ١٣٠ ت ٢٩٢٥٥٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا
محمد النبي الأمي الصادق الأمين ، ورضي الله تبارك وتعالى عن آله وصحبه
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين •

وبعد ••

فهذه مواقف من حياة اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ممن مات وهو عنهم راض مبشرا لهم بالجنة •

أما الأول فاسمه الزبير ، أبوه العوام بن خويلد ، وأمه صفية بنت
عبد المطلب عممة النبي عليه الصلاة والسلام ، وعمته أولى أمهات المؤمنين
خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم •• وهو صاحب أول
سيف سل في سبيل الله •

أما الثاني فواحد ممن وهبوا حياتهم في سبيل الله ، واشترى الله منهم
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، ولم يصف التاريخ أحدا أنه يساوى ألف
رجل فكان بهذا الوصف حقا سواء ••

إنه أبو عبيدة بن الجراح ••

ستمضى معهما أيها القارئ العزيز رحلة قصيرة ولكنها غنية بالمواقف
الجسام التي نرجو أن تكون أسوة وقدوة لن هداهم الله من أولى الألباب •

الناشر

الزبير بن الحوام

« لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ .. وَإِنِّي
حَوَارِيُّ الزُّبَيْرِ »

حديث نبوي شريف

نداء ...

خرج مع أهل الشام لقتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب • فلما
التقى الجمعان وجها لوجه ناداه الإمام علي :
— يا أبا عبد الله • يا زبير •

فخرج الزبير بن العوام من بين صفوف جيش أهل الشام • فانفرد
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب به وقال له :
— يا زبير ما أخرجك ؟
قال الزبير بن العوام :

— أنت • ولا أراك لهذا الأمر (الخلافة) أهلا ولا أولى به منا ...
فقال أمير المؤمنين علي : ألسنت له أهلا بعد عثمان ؟

قال الزبير بن العوام : نعم •
قال الإمام علي :

— لقد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء (عبد الله
ابن الزبير) ففرق بيننا • أتذكر يا زبير يوم مررت مع النبي عليه الصلاة
والسلام في بني غنم ، فنظر إلي وضحك وضحكت فقلت له : ألا يدع
ابن أبي طالب زهوه ؟ فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
به زهوه يا زبير ألا تحب عليا ؟ فقلت : ألا أحب ابن خالي وابن عمي ومن
هو علي ديني ؟ فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا زبير أما
والله لتقاتلنه وأنت له ظالم •

فأغمض الزبير عينيه وعض شفته السفلى وكأنه يحث ذهنه على نبش
أغوار الماضي .. ثم قال :

— نعم أذكر الآن ، وكنت قد نسيت ، ولو تذكرت ما سرت مسيرى هذا •
والله لا أملكك أبدا •

هل أضاعت كلمات أمير المؤمنين على أقطار نفسه فأبصر سبيل الحق ؟
هل كسبت عن عينيه الغشاوة التي طمستهما فرأى طريق الصواب ؟ لقد
أصبح كل همه أن يلقي الله عز وجل وهو عنه راض ، كما انتقل رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وهو عنه راض وبشره بالجنة •

ورجع الزبير بن العوام قرير العين بعد أن من الله تعالى عليه من
بصيرته وهدى ••

قال الزبير لأم المؤمنين عائشة :
— ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا ••
فتساءلت عائشة بنت أبى بكر :
— فما تريد أن تصنع ؟

قال الزبير بن العوام : أريد أن أدعهم وأذهب •••

فغضب ابنه عبد الله بن الزبير وقال :
— جمعت بين الغارين (العارين) حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن
تتركهم وتذهب ؟ لكأنك خشيت رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها
فغيتة أنجاد وأن تحتها الموت الأحمر فجبنت ، فأحفظه ذلك أنى حلفت
أن أقاتله •

قال الزبير بن العوام : لم أجبن يوما • كفر عن يمينك •

قال الزبير لأصحابه : هيا ••

فقالوا : إلى أين يا أبا عبد الله ؟

قال الزبير :

— إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أردت أن أدعهم فلقد
رأيت بين جمع على بن أبى طالب عمار بن ياسر فارتجف قلبي ••

قالوا : لماذا ؟

قال الزبير بن العوام : ماذا نفعل لو هبر سيف من أسبأهنا عمار بن ياسر ؟
قالوا : ماذا نصنع لرجل جاء لقتالنا ؟

قال الزبير بن العوام :

— سنكون الفئة الباغية ، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما
كنا بنى مسجد قباء يقول لعمار بن ياسر : يا عمار تقتلك الفئة الباغية .

وأشار الزبير لأصحابه فتركوا أرض القتال لمن يريدون لنار الفتنة الا
تتطفئ .

فى مكة ...

وطار خيال الزبير إلى مكة ...

لقد نشأ فى بيت الشرف ، فوالده العوام بن خويلد وعمته خديجة
بنت خويلد زوج النبی علیه الصلاة السلام ، وأمه صفية بنت عبد المطلب
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومات أبوه وهو صغير فكانت أمه
تعلمه الشجاعة والفروسية . . ضربته يوما فقبل لها :

— قتلتك . خلعت فؤاده . أهلك هذا الغلام ...

قالت صفية بنت عبد المطلب :

— إنما أضربه كى يلب ، ويجر الجيش ذا الجلب . .

وقاتل الزبير بن العوام بمكة وهو غلام رجلا فكسر يده وضربه ضربا
شديدا فمهر الرجل على صفية بنت عبد المطلب فقالت :
— ما شأنه ؟

قالوا : قاتل الزبير ...

فقالت صفية بنت عبد المطلب :

كيف رأيت زبرا أقطا حسبته أم نمرا

أم مشمعا صقرا ؟

كان يحب الفروسية والصيد والقنص • ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره صار فارساً رغم صغر سنه •

ولما مات العموم كانت صفية بنت عبد المطلب تضرب ابنها الزبير وهو صغير وتغلظ عليه فعاتبها عمه نوفل بن خويلد وقال لها :
— ما هكذا يضرب الولد • إنك لتضربينه ضرب مبغضة ••

فقالت صفية بنت عبد المطلب :

من قال أنى أبغضه فقد كذب وإنما أضربه لكي يلبس
ويهزم الجيش ويأتى بالسلب ولا يكن لاله خبا مخب
ياكل في البيت من تمر وحب

وكانت أمه تكتيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب •• وكان الزبير بن العموم جزارا •

إسلامه •• وتمنييه :

وذات ضحى لقي أبو بكر الزبير فقال في غرح :
— زبير ؟ جئتك في أمر ذي بال ••

فتسأل الزبير : أى أمر ؟

قال أبو بكر بن أبى قحافة :

— أنت أعلم الناس بأبن خالك (محمد بن عبد الله) ومقدار صدقه وأمانته فهو زوج عمك خديجة بنت خويلد •• وهو منكم •••

قال الزبير بن العموم :

— إن محمداً غير متهم فهو يؤدى الأمانة ويصل الرحم ويعين على نوائب الدهر •••

قال أبو بكر وهو يتلفت حوله ، وكأنه يحس أن يسمعه أحد :

— لقد هبط عليه ملك من السماء وأخبره أنه نبي هذه الأمة وأمره أن يدعو إلى عبادة الله وحده ••

فنظر الزبير نحو الكعبة وطفل بصره على الأصنام المبتثثة حولها وتسأل :
— أيكفر بالآلات والعزى ومناة وهبل ؟

قال أبو بكر بن أبي قحافة :
— نعم إنه يدعو إلى نبذ عبادة الأصنام ، وإلى عبادة الله الواحد الأحد ••
فقال الزبير : ومن تبعه على دينه هذا ؟

قال أبو بكر :
— أنا وعلى بن أبي طالب وزيد بن حارثة وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن
عبيد الله ••

قال الزبير بن العوام معاتبا :
— لماذا لم تخبرنى من قبل ؟

قال أبو بكر فى فرح :
— هل تريد أن تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال الزبير بن العوام : نعم •

فانطلقا إلى بيت النبى عليه الصلاة والسلام فقتلا النبى عليه الصلاة
والسلام على الزبير القرآن ودعاه إلى الإسلام فنطق بشهادة الحق ففرح
عمته خديجة فرحا شديدا بإسلامه ••

وكان أحد السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام •
'ودخل فى دين الله بعض أهل مكة وأسلم الأرقم بن أبى الأرقم
المخزومى ، وجعل من داره دارا للإسلام فدخلها النبى صلى الله عليه وسلم
وأصحابه وصلوا فيها •

وذاع فى مكة أن محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عبادة إله واحد
لا شريك له ، وعلم نوفل بن خويلد (ابن العدوية) عم الزبير أنه تبع
محمدا فقال له :

— كيف تترك آلهة آبائك وتتبع إله محمد ؟

قال الزبير بن العوام : أتأجبنى فى الله وفد هدانى ؟

فقتل نوح بن خويلد : أرني إلهك هذا ؟

قال الزبير بن العوام :

— « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » •

قال ابن العدوية : لقد سحرك محمد ...

قال الزبير بن العوام •

— بل أخرجني من الظلمات إلى النور ...

فركب الغضب نوح بن خويلد ، ونسى شرف الزبير بن العوام في
 هجومه فلفه في حصيرٍ وعلقه في جذع نخلة وأخذ يدخن عليه بالنار
 كي يترحم أنفاسه ، وناذاه تحت وطأة العذاب :

— اكفر برب محمد أدرأ عنك العذاب ...

فبقول الزبير: لا والله لا أعود للظلام بعد النور •

وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم آلهة قريش ، فاشتدت عداوة
 قريش للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه ، ولكن الله منع نبيه بعه أبي
 طالب ، وأنزل أشراف قريش باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم أشتد
 العذاب وكان المسلمون يأتون النبي عليه الصلاة والسلام ما بين مضروب
 ومشجوج ، فينأثر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول :

— اصبروا ...

ونفذ صبر الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن
 الجراح وقد نزل بهم أذى كبير فقاتلوا :

— يا رسول الله كنا في غم ونحن مشركون فلما آمننا ضربنا وأوذينا فأذن
 لنا في قتال هؤلاء ..

فقال النبي عليه الصلاة والسلام :

— كفوا أيديكم عنهم •

هجرته الأولى إلى الحبشة :

ولما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتحدث به ثار كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم ، فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنهم عن دينهم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :

— تفرقوا في الأرض ...

فقالوا : أين نذهب يا رسول الله ؟

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ههنا ••

وأشار إلى الحبشة (وكانت أحب الأرض إليه أن يهاجر قبلها) •

فخرج عثمان بن عفان وأمرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وأمرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو والزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد ومصعب بن عمير بن هاشم ، وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ومعه امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية بنت المغيرة ، وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم العامري ، وخطيب بن عمرو ، وسهيل بن بيضاء •• خرجوا متسللين في رجب من السنة الخامسة من حين نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إلى الشعبة منهم الراكب والماسي ، فحملهم سفينتان للتجار إلى الحبشة بنصف دينار فأقاموا نهر شعبان وسهر رمضان وعلموا أن عمر بن الخطاب قد أسلم ، وأن المسلمين أصبحوا يصلون في المسجد ويقرءون القرآن فبه آمنين مطمئنين فقدموا مكة في شهر شوال سنة خمس •

أول سيف سل على سبيل الله :

وسرت في مكة نغمة (نفخة من الشيطان) أن محمدا صلى الله عليه وسلم أخذ (قتل) فركب الغضب الزبير بن العوام كيف يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن قتله ؟ فسل سيفه وخرج يشتد في الأرزقة (جمع زقاق أي السكة) فلقية النبي عليه الصلاة والسلام وهو بأعلى مكة والسيف في يده فلم يصدق الزبير عينيه ••• رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال حيا ؟

تسألي النبي عليه الصلاة والسلام : مالك يا زبير ؟

قال الزبير بن العوام : سمعت أنك قتلت ...

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنت بضع ؟

قال الزبير بن العوام : كنت أضرب بسيفي هذا من أخذك (قتلك) •

فدعا له النبي عليه الصلاة والسلام ولسيفه • ثم قال : انصرف ...

فانصرف الزبير • ومعه سيفه الذي كان أول سيف سل في سبيل الله
(في الإسلام) •

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الزبير وعبد الله بن مسعود •

الهجرة الثانية إلى الحبشة :

واشتدت قريش على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطت بهم عشائهم ، ولقوا منهم أذى شديدا ، ونالوهم بالأذى فأذن لهم النبي عليه الصلاة والسلام في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية فقال عثمان بن عفان :

— يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشي ولبسنا معنا ...

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— أنتم مهاجرون إلى الله وإلى ، لكم هاتان الهجرتان جميعا ...

قال عثمان بن عفان : فحسبنا يا رسول الله •

فخرج الزبير بن العوام مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا ثلاثة وثمانين رجلا ومن النساء إحدى عشرة امرأة فرشيته وسبع غرائب •

ولما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وآمنوا وأن النجاشي قد أحسن صحبتهم اتهموا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية ومعهم هدية إليه وإلى أعيان أصحابه فسارا حتى وصلا الحبشة فحملا إلى النجاشي هديته وإلى أصحابه هداياهم وقالا لهم : . . .

— إن ناساً من سفهائنا غارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأنشروا عليه أن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم (خافوا أن يسمع النجاشي كلام المسلمين فلا يرسلهم) فوعدهما أصحاب النجاشي المساعدة على ما يريدان .

ثم حضرا عند النجاشي فأعلماه ما قالاه فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما . فغضب من ذلك وقال :

— لا والله لا أسلم قسوما جاوروني ونزلوا بلادى واختاروني على من سواى حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان ، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسن جوارهم .

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضروا . وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبى طالب فقال لهم النجاشي :
— ما هذا الدين الذى غارقتم فيه قسومكم ولم تدخلوا في دينى ولا دين أحد من الملأ ؟

فقال جعفر :

— أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ، ويأكل القوي الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله وألا نشرك به شيئا ، ونظف ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقسور الزور وأكل مال اليتيم وأمرنا بالصلاة والصيام .

وعدد عليه أمور الإسلام واستطرد :

— فأمنا به وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا ، وظلمنا ما أحل لنا ، نعتدى علينا قسومنا فغضبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترنك على من سواك ، ورجونا ألا ننظلم عندك أيها الملك .

فتساءل النجاشي :

— هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟

قال جعفر بن أبي طالب :

— نعم « بسم الله الرحمن الرحيم ، كهيعص ، ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ، إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ نَدَاءً خَفِيًّا ، قَالَ رَبُّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا » فبكى النجاشي وأسأفته ، وقال ملك الحبشة :

— إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا والله لا أسلمهم إليكما أبدا •

فلما خرج عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية من عند النجاشي قال عمرو بن العاص :

— والله لآتينه غدا بما يبئد خضراءهم •

فقال عبد الله بن أبي أمية (كان أتقى الرجلين) :

— لا تفعل فإن لهم أرحاما •

فلما كان الغد قال عمرو بن العاص للنجاشي :

— إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ••

فأرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن قولهم في المسيح فقال جعفر :

— نقول فيه الذي جاءنا به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحنه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول •

فأخذ النجاشي عودا من الأرض وقال :

— ما عدا عيسى ما فالت هذا العود •

فنفحرت بطارقتيه فقال النجاشي :

— وإن نضرتكم (تشاجرتكم) •

وقال للمسلمين :

— اذهبوا فأنتم آمنون • ما أحب أن لي جيلا من ذهب وأنى أدبت رجلا منكم •

ورد محبة قريش وقال :

— ما أخذ الله الرشوة منى حتى أخذها منكم ، ولا أطاع الناس في حق
أطيعهم فيه •

فأقام المهاجرون بخير دار •

وضاق رجال الدين في الحبشة بما قرأ جعفر بن أبي طالب من آيات الذكر
الحكيم ، وزاد من ضيقهم موافقة النجاشي على أن المسيح رسول الله فأخذوا
يؤلبون الناس عليه حتى مشى الناس إلى قصر الملك وقالوا للنجاشي :

— إنك غارقت ديننا ••

وخرجوا عليه • ونشب القتال بين النجاشي ومن ثاروا عليه فقال السكران
ابن عمرو :

— يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لا ننضم إلى الرجل الذي أكرم
مشوانا ؟

قال جعفر بن أبي طالب :

— إنا نخشى أن يظهر الرجل الذي يتود الناس على النجاشي فلا يعرف من
حقنا ما كان النجاشي يعرف منه ••

قال الزبير بن العوام : لم لا نرسل نفرا منا إلى النجاشي ونرى رأيه ؟

قال جعفر بن أبي طالب :

— سأذهب إلى النجاشي وسأصحب معي عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن
عوف •••

وقبل أن ينتهي جعفر من حديثه جاء رجل من عند النجاشي وقل :

— يا أصحاب محمد بعثني الملك لأقول لكم : اركبوا أنتم السفينة وكونوا كما أنتم فإن هزمت فامضوا إلى حيث سئتم وإن ظفرت فاثبتوا ..

ودارت المعركة بين الفريقين وأتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفهم يرقبون القتال وقلوبهم واجفه يدعون الله في إخلاص وصدق أن يؤيد النجاشي بنصره . واشتد القتال . فبعث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام وأبا عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف ليرقبوا القتال ثم باتوا بالخبر . فعادوا فرحين وقالوا :

— ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده .

وكان المهاجرون يشتغلون ليأكلون من كد أيديهم ، ويعمل بعضهم بالتجارة ، فينطلق أبو حذيفة بن عتبة والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان إلى أسواق صنعاء ونجران ، وكان خروجهم في الشتاء ليلتقوا بالخارجين من قريش ليتحصسوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليعملوا ببعض المسلمين الذين خرجوا في قافلة قسومهم .

وعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايع الأنصار عند العقبة (أوس وخزرج يثرب) فأخبر أصحابه المهاجرين فانطلق أبو سلمة المخزومي والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وأبو حذيفة وامراته سهلة بنت سهيل وعامر بن ربيعة وامراته ليلي بنت أبي خثمة وعثمان بن عفان وامراته رقيقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش و .. إلى مكة .

هجرتهم إلى يثرب ...

واشتدت عداوة قريش ضراوة لما أيقنوا أن النبي عليه الصلاة والسلام آوى (استند إلى قوم أهل حرب وتحمل) وقد بايع الأوس والخزرج على أن يمنعوهم مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ، وأنهم قبلوه صلى الله عليه وسلم على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . فقتلوا من أصحابه ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى ، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى يثرب . ولحق بهم .

الطَّالِب ...

بلع الزبير بن العوام وأصحابه سفوان (موضعا من البصرة كمكان الفادسيه من الكوفة) فلقية البكر (الرديء الفصل من الناس) رجس من بنى مجاشع فقال :

— أين تذهب يا حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ إلى " فأنت فى ذمتى لا يوصل إليك •

فأقبل معه وأتى إنسان الأحنف بن قيس فقال :
— هذا الزبير قد لقي بسفوان ...

فقال الأحنف بن قيس :
— ما شاء الله كان قد جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيوف .. ثم يلحق ببنيه وأهله ؟

فسمعه عمرو (عميرة ويقال عمير) بن جرموز السعدى فقال :
— أتى بؤرش بين الناس ، ثم تركهم والله لا أتركه ..
واتبعه هو وفضاله بن حابس ونفيع •

منح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجدا يقبأ وكان لكنوم ابن الهدم مريد (محل) يجفف فيه الثمر فلما علم برغبة النبي عليه الصلاة والسلام فقدم مريده ليكون أول مسجد أسس على اتقوى •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
— يا أهل قباء اثبتوني بأحجار من الحرة ...

فجمعت أحجار كبيرة فخط النبي عليه الصلاة والسلام القبلة ثم بدأ البناء فكان يأخذ الحجر حتى يتعبه • فباتى الزبير أو أبو بكر أو عمر أو أبو عبيدة بن الجراح فيقول :

— يا رسول الله بأبى أنت وأمى تعطينى أكفئك •

ويأخذ الزبير أو أبو بكر وعمر الحجر فيقول النبي عليه الصلاة والسلام :
— لآخذن مثله •

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فآخى بين
الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري •

ويوم بدر لم يكن مع أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
غرس إلا الزبير بن العوام وكانت عليه يومئذ عمامة صفراء كان معتجرا بها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— إن الملائكة (يوم بدر) نزلت على سيماء الزبير •

ولما نزل قوله تعالى « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » فقال الزبير :
— يا رسول الله وأى النعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟

• فقال النبي عليه الصلاة والسلام •

— أما إنه سيكون ••

ولما كان يوم أحد أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وكان
مكتوبا في إحدى صفحتيه :

في الجبن عار وفي الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وتسأل النبي عليه الصلاة والسلام :

— من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، من بينهم ، على بن أبي طالب فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— احطس •••

وقام عمر بن الخطاب فأعرض النبي عليه الصلاة والسلام عنه وطلبته
الزبير بن العوام ثلاث مرات فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه
حتى قام أبو دجانة وتسأل :

— ما حقه يا رسول الله ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام :

— تضرب به في وجه العدو حتى ينحنى ...

فقال أبو دجانه : أنا أخذه بحقه ...

فدفعه إليه النبي عليه الصلاة والسلام •

وخرج رجل من بين صفوف قريش على بعير له فدعا للمبارزة فأحجم عنه المسلمون حتى دعا ثلاثا فقام إليه الزبير بن العوام فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير • فقال النبي عليه الصلاة والسلام :
— الذي يلي حضيض الأرض مقتول ...

فوقع الرجل المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه فكبر المسلمون ، وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزبير وقال له :
— لكل نبي حوارى وإن حوارى الزبير ...

ثم أرفد صلى الله عليه وسلم :

— لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه •

وثبت أبو عبد الله يوم أحد حين انكشف المسلمون وغروا في كل وجه ، وقال له النبي عليه الصلاة والسلام :
— ارم هذاك أبى وأمى ...

فكان الزبير يقول :

— جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبويه) •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الزبير بن العوام في المهام الصعبة ، فقد قدم على النبي عليه الصلاة والسلام في صفر سنة أربع عقب غزوة أحد رهط من غل والفارة فقالوا :

— يا رسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام •

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ستة من أصحابه وهم :
مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبى الأفلح وخبيب بن

عدى ورید بن الدثنة وعبد الله بن طارق • وذات ضحى كان الننى عليه الصلاة والسلام جالسا مع أصحابه في مسجد، ينفذهم في أمور دينهم فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي فسمعوه يقول •
— وعليه السلام ورحمة الله وبركاته •

ولما سرى عنه صلى الله عليه وسلم قال :
— هذا جبريل عليه السلام يقرئني من خبيب السلام • خبيب فله قرش ••
لقد غدر رهط عضل والفارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

نم نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجالسين حوله وتساءل •
— أيكم بنزل خبيبا عن خشبته وله الجنة ؟

ليست المهمة سهلة فمن يستطيع أن يذهب إلى مكة ويفوم بهذا العمل
ورجال فريش حول خشبة خبيب بن عدى • لكن أى أجر أفضل من الجنة ؟
فقال الزبير بن العوام :
— أنا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن عمرو •••

وانطلق الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو إلى التنعيم لموحدا
خبيب بن عدى مصلوبا على خشبة طويلة عندها أكثر من أربعين رجلا لكنهم
سكارى ونيام فأنزلاه (وذلك بعد أربعين يوما من صلبه وموته) وحمله
الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء • وشعرو بالزبير والمقداد
رجال فريش فتبعوهما غلما لحقوا بهما قد عرفوا الزبير خبيب بن عدى فابتلعته
الأرض (ومن ثم قيل له بليغ الأرض) وكشف الزبير عمامته عن رأسه
ووقف كالأسد الغاضب :

— أنا الزبير بن العوام وصاحبى المقداد بن الأسود (كانا فارسين)
رابضان بذبان عن شبلهما فإن شئتم ناضلناكم وإن شئتم انصرفتم •
فانصرف رجال قرينس عنهما • ولما قدم الزبير والمقداد مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل وقال له :

— يا محمد إن الملائكة تباهى بهذين الرجلين (الزبير والمقداد) من أصحابك •
ونزل فيهما قوله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة
الله » •

ويوم الخندق حاصر الأحزاب المدينة فاشتد الأمر على النبي عليه
لصلاة والسلام وأصحابه ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى
قريظة قد نقضوا عهده وشقوا الكتاب الذى كتبه صلى الله عليه وسلم فقال
عمر بن الخطاب •
— يا رسول الله بلغنى أن بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت •

فشق الأمر على النبي عليه الصلاة والسلام فقال :
— من يأتينى بخبر القوم ؟

قال الزبير بن العوام : أنا ••

وكرر رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤاله ثلاث مرات •• والزبير يقول :
أنا •••

وذهب الزبير فوجد بنى قريظة قد نقضوا العهد ، فعاد إلى النبي
عليه الصلاة والسلام وأخبره فقال :
— إن لكل نبي حواريا وحوارى الزبير •

ولما قتل على بن أبى طالب فارس العرب عمرو بن عبد ود رجع من
ومل الخندق من غرسان قريش هاربين فقتلهم الزبير بن العوام وحمل
على هيرة بن أبى هيرة فغضب فغرسه فقطعه وسقطت درع كان محبها.
الفارس (جعلها مؤخر ظهرها) فأخذها الزبير وألقى عكرمة بن أبى جهل رمحه
وهو مهزوم • وهزم الله الأحزاب فأرسل عليهم ريحا حارضا في ليال باردة.
•• ولما رحلوا خائبين إلى بلادهم أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
أن يخرج إلى بنى قريظة ، فطأهم وحين طال الحصار دون أن يستسلموا
أرسل النبي عليه الصلاة والسلام الزبير بن العوام وعلى بن أبى طالب فوقف
أمام الحصن المنيع يردد مع على قوله :
— والله! نخوتن ما ذاق حمزة أو لنفتحن عليهم حصنهم •

نم ألقيا بنفسيهما وحبيدين داخل الحصن .. ظمأ رأى ييود بنى فريظه
الزبير وعليه نزل الرعب في قلوبهم وغنح أبواب الحصن للمسلمين فندفقوا
كالسيل المدمر .

ولما نزلت « ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » قال الزبير
ابن العوام :

— يا رسول الله أكبر عليا (أيردد علينا) ما كان في الدب مع حواص ، ذنوب ؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . نعم .
قال الزبير بن العوام . والله إنى لأرى الأمر شديدا .

وخرج الزبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المعسكر
السادس من الهجرة إلى العمرة فصدتهم قريش عن البيت الحرام .. فبايع
الزبير النبي عليه الصلاة والسلام ببيعة الرضوان هو وأصحابه . وشهدوا
صلح الحديبية .

ودأت يوم كان حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وزوج
أسماء بنت أبي بكر جالسا مع أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في مسجده
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقال :

— يا زبير ، إنى رسول الله إلى الناس عامة وإليك خاصة أتدرى ماذا قال ربكم
حين استوى على عرشه ؟
فقاله الزبير والحاضرون :
— الله ورسوله أعلم ...

فنظر النبي عليه الصلاة والسلام خلفه وقال .
— عبدى أنفق أنفق عليك ، ووسع أوسع عليك ، ولا تضيق حاضيق عليك . إن
باب الرزق مفتوح من فوق سبع سموات ، متواصل إلى العرش لا يغلق
في الليل ولا في النهار . ينزل الله الرزق على كل امرئ بقدر نبيه وعطيته
وصدقته ونفقته ، من أكثر أكرأ الله له . يا زبير إن الله يحب الإنفاق ويبغض
الإقتار ، وإن السخاء من المؤمنين ، والبخل من الشك ، ولا يدخل النار من
أيقن ، ولا يدخل الجنة من شك . يا زبير ، إن الله يحب السخاء ولو
بقلق نمرة ، ويحب السجاعة ولو بقتل حيه أو عقرب .

ويوم خيبر خرجت كتائب اليهود يتقدمهم فارسهم ياسر • والتقى
الجمعان وكان قتالا شديدا •

وخرج ياسر أخو مرحب وهو يقول :
قد علمت خيبر أتى ياسر . شاكى السلاح بطل مقاور
إذا الليوث أقبلت تبادر . إن حمای فيه موت خافر
ثم طلب المبارزة • فخرج إليه الزبير بن العوام • فقالت صفيية بنت
عبد المطلب (عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم) :
— يا رسول الله إنه يقتل ابنى ••

فتبسم النبي عليه الصلاة والسلام وقال :
— بل ابنك يقتله إن شاء الله ••

ولما اقترب الزبير من ياسر قال :
قد علمت خيبر أتى زيار
قرم لقرم غير نكس قرار
ابن حمزة المجد ابن الأخيار
ياسر لا يغرك جمع الكفار
فجمعهم مثل السراب الخثار

ولم يمهل الزبير ياسر فضربه ضربة تركته كأمس الدابر • فكبر المسلمون •
ثم حمل على بن أبى طالب على الحصن وتبعه أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقتحموه ••

وأتى النبي عليه الصلاة والسلام بكتاتبة بن الربيع ، وكان عنده كتو بنى
النضير فسأله عنه فوجد أن يكون يعرف مكانه وقال :
— نقد فى النفقة والحروب ••

فقال النبي عليه الصلاة والسلام :
— كان أكثر من ذلك ••

— وجاء رجل من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخوبة كل عداة ...

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة بن الربيع :
— أرايت إن وجدناه عندك أقتلك ؟
قال كنانة : نعم .

: فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانخربه فحفر حفرها بها بعض كمر
بنى النضير . ثم سأل النبي عليه الصلاة والسلام كنانة بن الربيع عما به
غابى أن يؤديه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الربيع بن نعوام به فقتل .
— عذبه حتى نستأصل ما عده .

فراح الزبير بن العوام يقبح بزندق صدره حتى شرف على
نفسه ، وجى بكنز بنى النضير فإذا به أساور ودمانج وخلاخيل وأقرضه وحوته
من ذهب وعقود الجواهر والزهر .

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع إلى محمد بن مسلمة
فخرب عنه بأخيه محمود بن مسلمة ...
وشهد الزبير بن العوام مع النبي عليه الصلاة والسلام عمرة القضاء .

ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة أمر ناس
بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذى يريد ، وجعل بكل طريق جماعة تعرف
من يمر بها ، وقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام :
— لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكروا إلا رددتموه .

وكتب حاطب بن أبى بلتمه كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه لسلوة
مولاة لبعض بنى عبد المطلب وجعل لها جعلاً على أن تبثه قريشا . فجعلته
فى رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بمسا صنع حذنب
ابن أبى بلتمه فبعث النبي عليه الصلاة والسلام على بن أبى طالب والزبير بن
العوام فقتل :
—

— أدرك امرأة قد تكف معها حاضف بن أبي بسعة بكذب إلى مريش يحذرهم
ما عد أجمع له من أمرهم •

مخرجاً حتى أدركها بالخليفة • هاسرلاًه غالتمسه في رحلها فلم يجدا
مه شيئاً •

فقال علي •
— إني أخطف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ،
ولمخرجنا هذا الكتاب أو لنكشفك ••

فلما رأت سارة الجند منه قالت : أعرض ••

مأعرض علي • فطعت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعتها إليه
فأتى به النبي عليه الصلاة والسلام • فدعا حاطب بن أبي بلتعة فسأله :
— يا حاطب ما حملك على هذا ؟

قال حاطب بن أبي بلتعة :
— يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني
كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم
وئد وأهل فصانعتهم عليهم •••
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق لا تفولوا له إلا خيراً ••

فقال عمر بن الخطاب :
— يا رسول الله دعني أضرب عنقه فإن الرجل قد نالق ••

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أتقتل رجلاً من أهل بدر ؟ وما يدريك
يا عمر لعل الله قد أطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم
مقد غفرت لكم •

وأنزل الله تعالى في حاطب بن أبي بلتعة :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ
بِالْمُودَةِ وَقَدْ كُفِّرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرِّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ

إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل
سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم
بالسوء ودوا لو تكفروا » ٥٥

ويوم أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل الزبير بن العوام
على إحدى مجنبتى جيشه وخالد بن الوليد على الأخرى وأبا عبيدة بن الجراح
على الرجال وأعطى النبي عليه الصلاة والسلام الزبير بن العوام رثه وأمره
أن يغرزها بالحجون .

وبعد أن فتح الله أم القرى وظهر النبي عليه الصلاة والسلام لكس
من الأصنام والأوثان التي كانت حولها ودخل أهلها في دين الله فوجا وقع
الرجب في قلوب رجال من هوازن وثغيف فمشوا بعضهم إلى بعض وقالوا : قد
خرج لنا هلا ناهية ٥٥

— والله إن محمداً وصحبه لأتوا أقواما لا يجسون القتل .

وراح مالك بن عوف النصري يحشد الجموع . فلما سمع النبي عليه
الصلاة والسلام بخبرهم انطلق إليهم ومعه ألفان من أهل مكة (الطلقاء) عشرة
آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة . فلما كان المسلمون بضين
وانحدروا إلى الوادي ، وذلك عند غيش الصبح خرج إليهم مالك بن عوف
ومن معه ، وكانوا كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه ، فحملوا على المسلمين
حملة رجل واحد واستقبلوهم بالنبل كأنهم جراد منتشر ٥٥ فانهزم المسلمون ،
وكان الطلقاء أول من ولوا الأدبار وغروا .

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس منهزمين صار يقول ،
— أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله إني عبد الله ورسوله .

ثم طلب من عمه العباس وكان عظيم الصوت :
— يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة . يا أصحاب
سورة البقرة .

فأقبل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون :
— لبيك لبيك يا رسول الله .

وأبصر الزبير بن العوام عوف بن مالك النصرى بن جندة فاقتحم حشده وحده فشتت شملهم وأزاحهم عن المكمن الذى كانوا يقربصون فيه ببعض جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكان النصر لله ورسوله •

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصار الطائف نظر النبى عليه الصلاة والسلام لحواريه الذى باع نفسه وماله لله عز وجل نظرة نقسدير فلما رأى ساعره حسان بن ثابت ذلك قال مادحا الزبير :

أقام على منهاجه وطريقه	يوالى ولى الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى	يصول إذا ما كان يوم مهج
له من رسول الله قربة قريبة	ومن نصرته الإسلام مجد مؤئل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه	عن المصطفى والله يعطى ويجزل
فما مثله قبيهم ولا كان قبله	وليس يكون الدهر ما دام ينزل
تناؤك خير من فعال معاشر	وفطك يا ابن الهاشمية أفصل

لم يكن الزبير غارسا فحسب بل كان صاحب سيف صارم ورأى حازم ، وكان لمولاه مستكينا وبه مستعينا ، وكان سخيا بأذل الأموال •

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرب الروم عقد الأولوية غدفع لواءه الأعظم لأبى بكر الصديق ، ورايته للزبير بن العوام ودفع رايه الأوس لأسد بن حضير ، ورايه الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بط من الأنصار ومن القبائل لواء •

حوارى رسول الله •• يوم اليرموك :

ويوم اليرموك جعل خالد بن الوليد جيشه كراديس ، جعل على كل كردوس رجلا شجاعا ، وكان الزبير شديد الولع بالشهادة عظيم الحرص على الموت ، فلما رأى أكثر المقاتلين يتقهقرون أمام جحافل الروم صاح بأعلى صوته :

— الله أكبر •

واخترق جيش الروم بسيفه •• ثم عاد راحا وسط الأمواج الزاحفة وسيفه يتوهج في يمينه • كان يسمى إلى الشهادة في سبيل الله •• فيكتب الله له النصر •

قال عمر بن الخطاب :
— إن الزبير ركن من أركان الدين •

وكان الزبير يقول :-

— إن طلحة بن عبيد الله يسمى بنى بأسماء الأنبياء ، وقد علم أن لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم وإنى لأسمى بنى بأسماء الشهداء لعلمهم يستشهدون •

وهكذا سمي ولده عبد الله (كان به بكنى) تيمنا بالصحابي الشهيد عبد الله ابن جحش ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم • والمخذر تيمنا بالصحابي الشهيد المخذر بن عمرو • وعروة تيمنا بالصحابي الشهيد عروة بن عمرو • وحمزة تيمنا بأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب • وجعفر تيمنا بالشهيد طائر الجنة جعفر بن أبي طالب • ومصعب تيمنا بالصحابي الشهيد مصعب بن عمير • وخالد تيمنا بالشهيد خالد بن سعيد •

كان يختار لأسماء أبنائه أسماء الشهداء راجيا أن يكونوا يوم تأتيهم آجالهم شهداء •

أكرم الناس على رسول الله :

سأل أبو إسحاق السبيعي مجلسا فيه أكثر من عشرين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
— من كان أكرم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قالوا : الزبير وعلى بن أبي طالب ••

وذات يوم خرج الزبير بن العوام مع شيخ قدم من الموصل في بعض أسفاره فأصابته جنابة بأرض قفر فقال الزبير للشيخ :
— استترنى ••

فستره فحانت منه التفاتة منه إلى الزبير فرآه مجذعا بالسيوف فقال :
— والله لقد رأيت بك آثارا ما رأيتها بأحد قط •
فتسائل الزبير : وقد رأيت ذلك ؟

قال الشيخ : نعم •

قال الزبير :

— أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله •

وكان الزبير بن العوام طويلاً تخط رحلاه الأرض إذا ركب راحلة ، معتدل اللحم خفيف اللحية أسمر الوجه •

وسأله ابنه عبد الله يوماً .

بـ لماذا تروى أحاديث قليلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال الزبير بن العوام :

— كان بيني وبينه من الرحم ما قد علمت ، ولكنى سمعته يقول : من قال على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار •

وسمع عبد الله بن عمر رجلاً يقول :

— أنا ابن الحواري •

فقال عبد الله بن عمر : ان كنت ابن الزبير وإلا فلا ...

وسأل محمد بن سلام يونس بن حبيب :

— ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : حوارى الزبير :

قال يونس :

— من خطبائه (الحوارى الخليل • الحوارى الناصر • الحوارى الصاحب المستخلص) •

بقول قتادة :

— الحواريون كلهم من قريش : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبى وقاص وطلحة والزبير •

وكان الزبير يدير تجارة ناجحه وكان ثراؤه عربصا فقبل له يوماً :

— يم أدركت فى التجارة ما أدركت ؟

قال حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— إني لم أشتتر عبداً ولم أرد ربها والله يبارك لمن يشاء •

وكان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فما كان يدخل بيته معها درهم واحد (يعنى أنه يتصدق بذلك كله) •

بقول عروة بن الزبير :
— كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف ، كنت أدخل أصابعي فيها : ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك •

وكانت أم المؤمنين عائشة تقول لعروة بن الزبير :
— كان أبوك من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح (تريد أبا بكر والزبير) •

ولما طعن عمر بن الخطاب بخنجر أبي لؤلؤة جعل الزبير في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده •

وشهد الزبير فتح مصر ، ولما أصاب أمير المؤمنين عثمان بن عفان الرعاف (الدم يخرج من الأنف) فقتلوا له :

— استخلف ••
قال أمير المؤمنين عثمان : نعم ••
قالوا : من هو ؟

فسكت أمير المؤمنين عثمان • فدخل عليه رجل من قريش وقال :
— يا أمير المؤمنين استخلف ••

فقال ذو النورين : نعم ••
فقالوا : من ؟

قال أمير المؤمنين عثمان :
— الزبير بن العوام • أما والذي نفسي بيده إن كان لأخبرهم ما علمت وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وأوصى إلى الزبير سبعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم : عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وعبد الله ابن مسعود ، فكان يحفظ على أولادهم ما لهم وينفق عليهم من ماله •

مقتل حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نزل الزبير بن العوام وادى السباع فقام بضلى الظهر ٠٠٠٠

ولحق عمرو بن جرموز بالزبير فلما رأى الزبير أنه يريد أن يقبل على فرسه
ذى الخمار لقتال له عمرو بن جرموز :

— أذكرك الله ٠٠

فكف أبو عبد الله عنه ٠ ولكن عمرو بن جرموز عاد يريد أن يقتل الزبير :

— قاتله الله يدكرنا الله وينساه ؟

فأتاه عمرو بن جرموز من خلف فطعنه طعنة خفيفة فحمل عليه الزبير بن
العوام فلما رأى ابن جرموز أنه قاتله نادى صاحبيه :
— يا نغيتم يا فضالة ٠

فحملوا عليه حتى قتلوه ٠٠

وكان ابن سبع وستين سنة ٠ ثم حمل عمرو بن جرموز سيف الزبير إلى
أمير المؤمنين على بن أبى طالب فأمر بطرده وقال :
— بئر قاتل ابن صفيه بالنار ٠٠

وحين أدخل عليه سيف الزبير قبله أمير المؤمنين على وأمعن في البكاء وقال :

— سيف ظالم والله جلا به صاحبه الكرب عن رسول الله ٠

فسلام على حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

أَبُو عَبِيدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ

« لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ

الْأُمَّةِ أَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ »

حديث نبوي شريف

رجل يالف رجل ***

منذ أن أسلم أبو عبيدة بن الجراح على يد أبي بكر في الأيام الأولى للإسلام وقبل أن يدخل النبي عليه الصلاة والسلام دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي وهب عامر بن عبد الله بن الجراح حياته في سبيل الله عز وجل •

ونال أبو عبيدة نصيبه من الأذى والاضطهاد على أيدي مسركى قريش، فخرج مهاجراً إلى الحبشة الهجرة الثانية مع ثمانين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برجون رحمة الله عز وجل • وأنزل الله تعالى فيهم :

« والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » •

ورجع أبو عبيدة بن الجراح إلى أم القرى لما علم أن الأنصار قد بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام • ثم هاجر من مكة إلى يثرب ونزل على كئوم بن المذم •

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة • (مؤاخاة المهاجرين التي كانت في مكة) وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار (في يثرب) فآخى بين أبي عبيدة ومحمد بن مسلمة الأنصاري •

قطع حبال الجاهلية ••

ويوم بدر خرج الجراح من بين صفوف المشركين وقصد ابنه أبا عبيدة ليقتله فولى عنه أبو عبيدة بيد أن الجراح أصر على طلبه فرجع أبو عبيدة إلى أبيه وهب • بسيفه فقتله • فأنزل الله عز وجل فيه : « لا تجد فوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم

أو إخوانهم أو عشرينهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » • • لقد خرج أبو عبيدة بن الجراح عن الشهوات النفسانية وقطع حبال الجاهلية لتشييد حبال الإسلام • لقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعلمهم وسكب في صدورهم الهدى قطرة قطرة ، وبذر في نفوسهم بذور الحكمة وأصابها بغيث مدرار من أدب النبوة وحكمتها •

في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وبلغ أبا عبيدة أن قريشا قد أقبلت باحاييشها ومن تبعها من كثانة وتهامة لتتأثر ليوم بدر فأنطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره • • فجمع النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه وقال لهم :
— أشيروا علي • •

فقال رجل من الأنصار :

— يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جينا عنهم وضعفنا • • •

وقال عبد الله بن أبي بن سلول :

— يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورامهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا •

وارتفعت أصوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل جانب تحبذ الخروج للقتال • • فدخل النبي عليه الصلاة والسلام داره • • فقاتل أبو عبيدة بن الجراح :

— استكروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لكم ذلك •

فندم الناس وقالوا :

— يا رسول الله استكروناك ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فاقميد •

فقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— ما ينبغي لقبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل •

وتجهز أبو عبيدة بن الجراح وخرج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد • • •

وثبت أبو عبيدة بن الجراح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنهرهم المسلمون وولسوا ••

وأقبل أبو بكر الصديق يسعى إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، فإذا حلقتان من المغفر قد دخلتا في وجهه صلى الله عليه وسلم وإذا أبو عبيدة بن الجراح يقول لأبي بكر :

— أسألك بالله يا أبا بكر إلا تركتني فأنتزعه من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فتركه أبو بكر فأخذ أبو عبيدة بثنيتيه حلقة المغفر هنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبي عبيدة ثم أخذ الحلقة بثنيته الأخرى •• فصار أبو عبيدة في الناس أثرم •

وشهد أبو عبيدة بن الجراح مع النبي عليه الصلاة والسلام غزوة الخندق وبنى قريظة ••

وسأل أبو عبيدة بن الجراح النبي عليه الصلاة والسلام يوماً :
— يا رسول الله أى الشهداء أكرم على الله عز وجل ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
— رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ، فإن لم يفتله فإن القلم لا يجرى عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش •

وذاث يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في مسجده وعبد الله ابن عمر خلف أبيه فقال النبي عليه الصلاة والسلام :

— ثلاثة من فريش أصبح الناس وجوها وأحسنها أخلاقا وأثبتها حياء إن حدثوك لم يكذبوك وإن حدثتهم لم يكذبوك : أبو بكر الصديق وعثمان ابن عفان وأبو عبيدة بن الجراح •

سريته إلى ذى القصعة :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى بنى تعله ربى سوال من تعله بذى القصعة بعد أن أهدقوا

بمحمد بن مسلمة الأنصاري وأصحابه ووضعوا فيهم السلاح فذهب أبو عبيدة ومن معه إلى مصارع أصحابه فلم يجدوا أحداً ووجدوا نعماً وشاء فأنجدوا بها إلى المدينة •

وعلم النبي عليه الصلاة والسلام أن بنى ثعلبة وبنى عوال يريدون أن يغربوا على سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة أميال فبعث أبا عبيدة بن الجراح وأربعين رجلاً فصلوا المغرب ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصعة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجروهم هرباً في الجبال وأسروا رجلاً منهم وأخذوا نعماً من نعمهم ورثة (نياحا خلقاً من متاعهم) ومدموا بذلك إلى مدبنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأسلم الرجل فتركه النبي عليه الصلاة والسلام •

أمين هذه الأمة :

وذاث ضحى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوساً في مسجده فخرج النبي عليه الصلاة والسلام عليهم فقال :

— أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياءً عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي (ابن كعب) وأفرضهم زيد (ابن ثابت) وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ (ابن جبل) ألا وإن لكل أمة أميناً وإن أميننا أبتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح •

سرية الخبث :

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى حى من جهينة في ساحل البحر ليرصدوا عيرا لقربش •• وزودهم النبي عليه الصلاة والسلام جراباً من تمر •• فأقاموا بالساحل نصف شهر وكان أبو عبيدة يعطى الواحد منهم في اليوم والليلة ثمرة واحدة يمضوا ثم يصرها في ثوبه •

وأصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخبث (كانوا يأكلونه بعد أن يخبطوه بتسبهم وينسفوه ويشربوا عليه من الماء) حتى تقرحت أشتاقهم • وجهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتائل منهم :

— والله لو لفينا عدواً ما كان منا حركة إليه لئلا بالناس من الجهد ••

فقال قيس بن سعد بن عبادة :

— من يشتري منى تمرًا أو شهية في المدينة بجزور يوفيهها إلى هنا ؟

فقال له رجل من أهل الساحل :

— أنا أفعل لكن والله ما أعرفك فمن أنت ؟

قال قيس : أنا قيس بن سعد بن عبادة •

فقال الرجل :

— ما أعرفني بسعد إن بينى وبين سعد خله •• سيد أهل يثرب •

فأشترى خمس جزائر كل جزور بوسق (ستون صاعا) من تمر ••

فقال الرجل :

— أشهد لى ••

قال قيس بن سعد بن عبادة : أشهد من تحب •••

فأشهد الرجل نفرا من المهاجرين والأنصار من جملتهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح • وأخذ قيس الجزر فنحر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة في ثلاثة أيام وأراد أن ينحر لهم في اليوم الرابع فنهاه أبو عبيدة بن الجراح وقال له :

— عزمت عليك ألا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك (لا يوفى لك بما التزمت ولا مال لك) ؟

فقال قيس بن سعد :

— أترى أبا ثابت (يعنى والده سعد بن عبادة) يقضى ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضى ديننا استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله ؟ •

وألقى البحر دابة هائلة يقال لها العنبر مثل الكتيب ففقال أبو عبيدة بن

الجراح :

— ميتة لا تأكلوا ••

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله ونحن مضطرون •

فاكلوا منه عشرين ليلة .. ولما قدموا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم :
— ما حبسكم ؟

قالوا : كنا نبتغي عرات قرينس ...

وذكروا له صلى الله عليه وسلم شأن الدابة التي مثل الكتيب (انشبر)
فقال النبي عليه الصلاة والسلام :
— إنما هو رزق رزقكموه الله .. أمعكم منه شيء فنطعمونا ؟

قالوا : نعم ..
مقدموا إلى النبي عليه الصلاة والسلام منه فأكله .

وشهد أبو عبيدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعه الرصوان وصلاح
الحديبية وفتح خيبر وعمره القضاء . وكان أبو عبيدة بن الجراح يوم فتح
مكة على الرجاله .

طاعة الأمراء :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى فضاة لما
بلغه أن جمعا منهم قد تجمعوا يريدون المدينة وعقد لعمره لواء أبيض
وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار
ومعه ثلاثون فرسا ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستعين بمن
بمر عليهم ، ففسار الليل وكمن النهار حتى قرب من فضاة فبلغه أن القوم
جمعوا لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن كعب الجهني إلى النبي عليه الصلاة
والسلام فبعث إلى عمرو بن العاص أنا عبيدة بن الجراح في مائتين من سراة
المهاجرين والأنصار منهم : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعقد له
لواء وأمره أن يلحق بعمره بن العاص وأن يكونا جميعا ولا يفتلنا . فالحق
بعمره . وأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو بن العاص :
— إنما قدمت على مددا وأنا الأمير ...

فقال جمع من المهاجرين الذين مع أبي عبيدة لعمره :
— أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه ...
فقال عمرو بن العاص : أنتم مدد لنا .

فلما رأى أبو عبيدة بن الجراح الاحتلام قال :

— لتعلم يا عمرو أن آخر شيء عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : إن قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وإنك والله إن عصيتني لأضيعنك ...

فقال عمرو بن العاص : فإنني الأمير عليك •

فقال أبو عبيدة بن الجراح : غدونك ..

وسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص لأن أبا عبيدة كان حسن الخلق لين العربكة .. فكان عمرو بن العاص يصلى بالناس •

رسول الله يكرم أبا عبيدة :

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يكرم أبا عبيدة بن الجراح .. فبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من الصحابة ومعه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وأبو أمامة إذ أتى بقدر فيه شراب فناول النبي عليه الصلاة والسلام أبا عبيدة بن الجراح فقال : — أنت أولى به يا رسول الله ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— اسرب فإن البركة مع أكابرنا ، فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منّا •

فأخذ أبو عبيدة القدر • وشرب •

وسعد أبو عبيدة مع النبي عليه الصلاة والسلام عروه نبوك ..

ولما قدمت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلنوا إسلامهم ودخل الناس في دين الله أفواجا • وقدم وفد نجران باليمن قالوا :

— يا رسول الله ابعت معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام ...

فقال النبي عليه الصلاة والسلام .

— لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين حق أمين حق أمين ..

قالها ثلاثا • فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • •
 فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح •

يقول أبو هريرة :
 — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نعم الرجل أبو عبيدة
 ابن الجراح •

يرغض الخلافة :
 ولما قبض النبي عليه الصلاة والسلام • • وكان يوم السقيفة قال
 أبو بكر :
 — رضيت لكم أحد هذين الرجلين (يعنى عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن
 الجراح) •

فقال عمر بن الخطاب :
 — والله لأن أئدم فأنحر كما ينحر البعر أحب إلى من أن أتقدم على أبى بكر •
 وكان أبو عبيدة أمينا كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدها
 نهضة (فحصة) ليثب ويصبح خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد
 كان مدركا تمام الإدراك أن أبا بكر أفضل المهاجرين • • فبايعه • • وبايعه
 الناس •

يقول أبو هريرة :
 — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نعم الرجل أبو بكر • نعم
 الرجل عمر • نعم الرجل أبو عبيدة • نعم الرجل أسيد بن حضير • نعم
 الرجل ثابت بن قيس بن سماس • نعم الرجل معاذ بن جبل • نعم الرجل
 معاذ بن عمرو بن الجموح • نعم الرجل سهيل بن بيضاء •

ويقول عبد الله بن عباس :
 — سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول : خالد بن الوليد سيف الله
 وسيف رسوله وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأبو عبيدة
 ابن الجراح أمين الله وأمين رسوله وحذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن
 وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن عز وجل •

وكما عاش أبو عبيدة بن الجراح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمينا يحمل مسئولياته في أمانه تكفى أهل الأرض لو اغترفوا منها جمعا .. كذلك كان مع الخليفة الأول ..

ولما مات أبو بكر وبايع الناس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. كان أول قرار اتخذته الفاروق عزل خالد بن الوليد الذي كان يقود الجيوش في الشام وولى أبا عبيدة مكان سيف الله المسلول .. فلم يكد أبو عبيدة يستقبل رسول الفاروق بهذا النبأ الجديد حتى استنكته الخبر وكنمه هو في نفسه طائبا عليه صدر زاهد ومقدرا موقف قائد يقود جيوش الإسلام في موقعه كبرى حاسمة .. حتى أتم خالد بن الوليد فتحه العظيم .. عندئذ تقدم أبو عبيدة في تواضع وأدب وقدم كتاب أمير المؤمنين عمر .. فقال خالد بن الوليد :

— يرحمك الله أبا عبيدة ما منعك أن تخبرني حين جاءك الكتاب ؟

فقال أمين هذه الأمة :

— إنني كرهت أن أكسر عليك حربي وما سلطان الدنيا نريد ، ولا للدنيا نعمله كلنا في الله إخوة •

وكان نقش خاتم أبي عبيدة بن الجراح « الحمد لله » •
وكتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب •
سلام عليك أما بعد ..

فإننا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ؟ فإننا بحدرك يوما نعو فيه الوجوه ، وتجف فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج ، لحجه ملك قهرهم بجبرونه ، فالخلق داخرون له ، يرجون رحمته ، ويخافون عقابه ، وإننا كنا نحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة ، وإننا نعود بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا فإنما كتبنا به نصيحة لك .. والسلام عليك •

ولم يغضب الفاروق ، فقد كان يعلم أن الدين النصيحة مكنب إلى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل :

من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة ومعاذ سلام عليهما أما بعد ...
 أتاني كتابكما تذكرا أنكما عهدتماني وأمر نفسي لي مهم ، فأصبحت قد
 وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس بين يدي الشريف والوضيع ،
 والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ، كتبتما : فأنظر كيف أنت عند
 ذلك يا عمر ؟ وإنه لا حول ولا قوة لعمرك عند ذلك إلا بالله عز وجل .
 وكتبتما تحذرانني ما حذرت منه الأمم قبلنا وقديما كان اختلاف الليل
 والنهار بأجل الناس يقربان كل بعيد ويبتليان كل جديد ، ويأتيان بكل
 موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار . كتبتما تحذرانني :
 أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء
 السريرة ، ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذاك ، وذلك زمان تظهر فيه
 الرغبة تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم . كتبتما تمودانني
 بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما وإنكما كتبتما به نصيحة
 لي وقد صدقتما فلا تدعا الكتاب إلى غاية لا غنى بى عنكما .. والسلام عليكما .

يقول أبو عبيدة بن الجراح :

— قام غينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : إن الله لا ينام
 ولا ينبغي له أن ينام . يخفض النقسط ويرفعه . يرفع إليه عمل الليل قبل
 عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل . حجابه النور . لو كشفه لأحرقت
 سبحات وجهه ما انتهى إليه من خلقه .

وسئلت أم المؤمنين عائشة (سألتها عبد الله بن شقيق) :

— أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ؟

قالت عائشة : أبو بكر .

فقال لها : ثم من ؟

قالت أم المؤمنين عائشة . ثم عمر .

فقال عبد الله بن شقيق : ثم من ؟

قالت عائشة بنت أبي بكر : أبو عبيدة بن الجراح .

أمير الأمراء :

وجعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح أمير الأمراء
 بالشام فأصبحت إمرته أكثر جيوش الإسلام طولا وعرضا عتادا وعددا .

غما زاده ذلك إلا تواضعا فكان الذى يراه لا يحسبه إلا فردا عاديا من المسلمين •

وانبهر أهل الشام بأبى عبيدة • • فقام فيهم خطيبا وقال :
— إننى مسلم من قريش ، وما منكم من أحد أحمر ولا أسود بفضلى بتقوى
إلا وددت أنى فى مسلاخه (إهابه) •

و ذات يوم جلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع جلسائه فقال لهم :
— تمنوا •

فقال رجل :
— أتمنى لو أن لى هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقته فى سبيل الله •
ثم قال الفاروق : تمنوا • •

فقال رجل آخر :
— أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤا وزبرجدا وجوهرات أنفقته فى سبيل الله
وأصدق • •
ثم قال أبو حفص : تمنوا •
فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين • •

قال عمر بن الخطاب :
— لكى أتمنى ببتا ممثلتا رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح •

وبعث أمير المؤمنين عمر إلى أبى عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائه
دينار وقال لرسوله :
— انظر ما يصنع • •

ودهب الغلام إلى أبى عبيدة بالمال • • فأخذه منه وقسمه بين المساكين
• • فعاد رسول عمر وقال له :
— قسمها أبو عبيدة •

ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى معاذ بن جبل بمنزلها وقال لرسوله منك ما
قال فقسمها معاذ بن جبل • • فلما أخبر رسول عمر أمير المؤمنين بما فعل
معاذ قال : انهم اخوة بعضهم من بعض •

زنده ووصاياه لجنده :

وعلم أبو عبيدة بن الجراح أن جمعا من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بحمص واستجاشوا (استعانوا) بأهل الجزيرة وخلق ممن هنالك وقصدوا أبا عبيدة • فبعث أبو عبيدة إلى خالد بن الوليد فقدم عليه من قنسرين وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك • واستشار أبو عبيدة المسلمين :
— هل نناجز الروم أو نتحصن بالبلد حتى يجيء إلى أمر عمر :

فأشاروا كلهم بالتحصن إلا خالد بن الوليد فقال :

— نناجز الروم ••

فعمى أبو عبيدة بن الجراح وأطاع الناس وتحصن بحمص •• فأحاط به الروم وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عنه بأمر الروم ولو تركوا ما هم نبه وأقبلوا على حمص لانخرم النظام في الشام كله •

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسيرهم إلى حمص ففور وصول كتابه نجدة لأبي عبيدة ابن الجراح فإنه محصور •

وكتب عمر إليه أن يجهز جيشا إلى أهل الجزيرة الذين مالتوا الروم على حصار أبي عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض بن غنم •

فخرج الجيشان معا من الكوفة : القعقاع بن عمرو في أربعة آلاف نحو حمص وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة بن الجراح •

ولما بلغ أهل الجزيرة الذين مالتوا الروم على خمص أن جيش عياض بن غنم قد طرق بلادهم انشعروا (ذهبوا) إلى بلادهم وفارقوا الروم •

وسمعت الروم بمقدم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فدب الضعف في جانبهم ••

وأتى خالد بن الوليد على أبي عبيدة بن الجراح بأن يبرز إلى الروم ليقاتلهم •• فخرج أبو عبيدة ففتح الله عليه ونصره عليهم وهزمهم هزيمة ساحقة •• وذلك قبل ورود الإمدادات إليه بثلاث ليال • فكتب أبو عبيدة إلى مبر المؤمنين عمر بالفتح •

زهده ووصاياه لجنده :

ولما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشام تلقاه الناس وعظماء
أهل الأرض فقتسائل الفاروق :
— أين أخى ؟

فقالوا : من ؟
قال أمير المؤمنين عمر : أبو عبيدة •
قالوا : الآن يأتيك ••

فلما أتاه نزل واعتقه ثم دخل عليه بيتا •• فلم ير في بيته إلا سيفه
وترسه ورحله (رمحه) •

فقال عمر بن الخطاب وهو يبتسم :
— ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك ؟

فقال أبو عبيدة بن الجراح :
— يا أمير المؤمنين هذا يبلغنى المقلب •••
ونظر الفاروق فرأى عيش أبى عبيدة بن الجراح وما هو عليه من شدة
فقال له :
— كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة •

ودخل مسلم بن أكيس مولى عبد الله بن عامر على أبى عبيدة بن الجراح
فوجده يبكى فسأله :
— ما يبكيك يا أبا عبيدة ؟

فقال أبو عبيدة :
— نبكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوماً ما يفتح الله على
المسلمين ويفى عليهم حتى ذكر الشام فقال : إن ينسأ فى أجلك يا أبا عبيدة
فصحبك من الخدم ثلاثة : خادم يخدمك وخادم يسافر معك وخادم
يخدم أهلك ويرد عليهم ، وحسبك من الدواب ثلاثة : دابة لرحلك ودابة
لنقلك ودابة لعلامك •

ثم أشار أبو عبيدة بيده واستطرد :

— بم هذا أنا أنظر إلى بيتي قد امتلأ رقيقاً وأنظر إلى موبطى قد امتلأ دواب وخيلاً ، فكيف ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا ؟ وقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أجبكم إلى وأقربكم منى من لقينى على مثل الحال التى غارقنى عليها ؟؟

كان خوف أبى عبيدة بن الجراح وبكاؤه على بسط الدنيا جعل الدمع لا يجف قبل لحيته •• وكان يقول •

— وددت أنى كبش فذبحنى أهلى فأكلوا لحيى وحسوا مرقى •

•
وكان يسير فى العسكر فيقول :

— ألا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه ، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ادعوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات ، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن •

وأصيب أمين هذه الأمة فى طاعون عمواس بأرض الشام سنة ثمان عشرة •• استند الوجع بأبى عبيدة بن الجراح وبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر كعب إلى أبى عبيدة بالأردن ليستخرجه منه :

إن سلام الله عليك أما بعد •••

فإنه قد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أسأفك فيها فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابى هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلى •

فعرف أبو عبيدة بن الجراح أن أمير المؤمنين عمر إنما أراد أن يستخرجه من الوباء فقال :
— بعقر الله لأمر المؤمنين •••

نم كعب أبو عبيدة إلى الفاروق :

— با أمير المؤمنين إبنى قد عرفت حاجتك إلى وإنى فى جند المسلمين لا أجد بنفسى رعبه عنهم فلست أريد مراقبهم حتى يقضى الله فىّ وفيهم أمره وقضاه • فظننى من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعنى فى جندى •

ردعا أبو عبيدة من حضره من المسلمين فقتال لهم موصيا :

— إني موصيكم بوصية إن قبلتوها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة وصوموا
شهر رمضان وتصدقوا وحجوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم ولا
تلهمكم الدنيا • إن امرءًا لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير
إلى مصرعى هذا الذي ترون إن الله تعالى كتب الموت على بني آدم فهم
ميتون فأكيسهم أطوعهم لربه وأعلمهم وأعملهم ليوم معاده •• والسلام
عليكم ورحمه الله •••

ثم نظر نحو معاذ بن جبل وقال :

— يا معاذ بن جبل •• صل بالناس •

وفاته :

ومات أمير هذه الأمة وأمير الأمراء فوق أرض الأردن التي طهرها
من وثنية الفرس واضطهاد الروم •• توفي أبو عبيدة بن الجراح وعمره ثمان
وخمسون سنة ••• فصلى عليه معاذ بن جبل ونزل في قبره معاذ وعمرو بن
الغاص والضحاك بن قيس ••

ولما بلغ أمير المؤمنين كتاب أبي عبيدة بن الجراح •• علم أنه الناعى
••• فأسبل جفنيه على عينين غصتا بالدمع •



« بِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ .. وَإِنِّ
حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ »

حديث نبوى شريف

« لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ
الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ »

حديث نبوى شريف

